استثمار أسطح الدفيئات الزراعية في "مواصي خان يونس" استجابة ذكية تكسر قيد الملوحة وتؤسس نموذجاً للتعافي الزراعي

من قلب "مواصي خان يونس"، حيث تتشابك تحديات ملوحة المياه وتدهور التربة و الموارد المائية، لم يعد العمل الإغاثي التقليدي كافياً لترميم ما دمرته الأزمات المتلاحقة. من هنا، أطلقت جمعية الإغاثة الزراعية تدخلاً نوعياً لاستثمار أسطح الدفيئات الزراعية (الحصاد المائي)، متجاوزةً كونه مجرد "مشروع تقني" ليصبح نموذجاً رياديا في "تكامل التدخلات" واستراتيجيات التعافي المبكر.

كسر "قيد الملوحة": المياه كركيزة أولى للتعافي

انطلقت الإغاثة الزراعية من تشخيص للواقع؛ حيث بلغت ملوحة المياه الجوفية في المنطقة مستويات حرجة (3000 جزء في المليون)، ما يهدد بخروج 20 دونماً من الدفيئات و18 دونماً من الحقول المكشوفة عن الإنتاج الزراعي . متسببة في خسائر فادحة لـ20 مزارعاً فقدوا سبل رزقهم . استجابة لذلك صممت الإغاثة الزراعية حلاً جاء عبر هندسة ذكية استثمرت أسطح الدفيئات كـ "محطات حصاد" لمياه الأمطار العذبة من خلال تخزين 350 متر مكعب من مياه الامطار مع امكانية خلطها مع المياة الجوفية المالحة،ليساهم ذلك بتقليل نسبة الملوحة الى اقل من 500 جزء في المليون. هذا التحول التقني لم يكن لتحسين جودة الري فحسب، بل كان " المحرك " الذي أعاد الروح لـ 12 دونماً من الدفيئات، مؤسساً لقاعدة إنتاجية صلبة .

يأتي هذا التدخل كجزء من رؤية الإغاثة الزراعية لتحويل الأزمات البيئية إلى فرص تنموية تدعم صمود المزارع والنازح على حد سواء.....

تكامل البنية والإنتاج: هندسة العائد الاقتصادي

تبنّت الإغاثة الزراعية نهجًا متكاملًا لإدارة الموارد الزراعية، انطلاقًا من أن تحسين كفاءة استخدام المياه لا يحقق أثرًا مستدامًا دون بيئة إنتاجية قادرة على استيعاب هذا المورد بكفاءة. ، لم يقتصر التدخل على توفير المياه، بل شمل تطوير المنظومة الزراعية ككل؛ حيث جرى ترميم 7 دونمات من الدفيئات المتضررة، إلى جانب إعادة تأهيل شاملة لنحو 30 دونمًا من الأراضي الزراعية، شملت الدفيئات والحقول المكشوفة.

هذا التكامل بين إدارة المورد المائي وتعزيز كفاءة البنية التحتية الزراعية أسهم في إحداث تحول نوعي في الإنتاج؛ إذ ارتفعت إنتاجية الطماطم في الدونم من نحو 7–8 أطنان إلى ما بين 12–15 طنًا. كما امتد التحسن ليشمل زراعة محاصيل أخرى مثل الخيار والباذنجان، إضافة إلى المحاصيل المكشوفة كالسبانخ والملوخية والبطاطس، ما أدى إلى زيادة إجمالية في الإنتاجية بنحو 50٪.

هذه التفاصيل تعكس انتقال العمل من مبادرات بسيطة إلى بنية تحتية إنتاجية مدروسة.

من الميدان: شهادات من المزارعين

يقول أحد المزارعين المستفيدين بلهجة تملؤها الثقة: "كنا نظن أن الأرض استسلمت للملوحة، لكن نظام الحصاد أعاد لنا الأمل. بدلاً من المياه التي كانت تحرق المحاصيل، أصبحت اليوم -بعد خلطها بمياه الأمطار- مصدراً للخير الوفير".

فيما يؤكد مزارع آخر أن التكامل بين ترميم الدفيئة وجودة المياه غير واقع هذا ليس مجرد رقم، بل هو هو تعافي مبكر لعائلتي في ظل هذه الظروف الصعبة". ومن منظور مهني يعبر أحد المهندسين الزراعيين الذين شاركوا في التدريب الميداني عن تجربته قائلاً: "خلال يوم التدريب المكثف حول الزراعة العضوية لم أتعلم فقط تقنيات استغلال الموارد الشحيحة، بل رأيت كيف تحولت دافعية المزارعين من اليأس إلى الإقبال على الاستصلاح وهذا التدريب كان الجسر الذي يربط نظرياتنا العلمية بالواقع الميداني الصعب.

الاستدامة: مسؤولية مجتمعية وكوادر شابة

اكتملت زوايا النهج المتكامل لإدارة الموارد الزراعية الذي تبنّته الإغاثة الزراعية بدمج البعد المعرفي والاجتماعي؛ إذ استثمرت في تأهيل 10 مهندسين زراعيين حديثي التخرج عبر إشراكهم في العمل الميداني وتدريبهم على تقنيات الزراعة العضوية وإدارة الموارد الشحيحة.

وعلى مستوى المسؤولية المجتمعية، تحوّل المزارعون من متلقين للدعم إلى فاعلين في تعزيز البقاء؛ حيث خصص المزارعون 30٪ من إنتاجهم لدعم الأمن الغذائي لأكثر من 300 أسرة نازحة، من خلال تزويدهم بسلال خضار طازجة بشكل دوري.

أحد المزارعين المستفيدين:

"الأرض كانت ترفض محاصيلنا... اليوم تغيرت المعادلة بالكامل"

خاتمة: نحو نموذج تعافٍ وطني

إن ما نفذته الإغاثة الزراعية في مواصي خان يونس هو إثبات عملي على أن الاستجابة الفاعلة تكمن في "كُلّيّة التدخل". فالبداية كانت قطرة مطر سقطت على سطح دفيئة، والنهاية كانت تأمين غذاء لآلاف النازحين، وما بينهما منظومة متكاملة من الهندسة، والتدريب، وترميم الأرض، لترسم ملامح التعافي الزراعي الفلسطيني في أصعب الظروف.